المجلس الثالث عشر

من أوقاف الصحب الكرام رضي الله عنهم

المجلس الثالث عشر

من أوقاف الصحب الكرام ﷺ

إن الوقف في سبيل الله تغلب على شهوة حب المال، وانتصار على النفس في إلزامها ببذل هذا المال لله ﷻ، فهو منه وإليه، قال ﷻ آمرًا أهلَ الإيمان بالإنفاق: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [النور:٣٣]، فهو مال الله منه وإليه، ينفقه العبد ابتغاء الأجر من الله ﷻ فتحصل له تزكية نفسه وطهارتها قال ﷻ: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣] فالإنفاق في سبيل الله ﷻ تزكية للنفس وتطهير لها من أدران الذنوب والمعاصي ومن وصف البخل والشح، ومن التعلق بالدنيا والخلود إليها.

وإليكم هذا الحديث الشريف الذي يحكي قصةَ مجلسٍ من مجالسِ الإيمان مع رسول الله ﷺ، سأل ﷺ أصحابه يومًا فقال: «أَيُّكُمْ مَالُ وَارِثِهِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنْ مَالِهِ؟» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ مَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا مَالُهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ، قَالَ: «فَإِنَّ مَالَهُ مَا قَدَّمَ، وَمَالَ وَارِثِهِ مَا أَخَّر»[١].

إنها كلمةٌ عظيمة بالغة المعنى عمِلت عملها في نفوس أصحاب رسول الله ﷺ حين علموا أن مالهم الباقي هو ما يقدمونه لله ﷻ وابتغاء الأجر منه فيلقون ثواب ذلك يوم القيامة، حتى جاء عن جابر ﷺ أنه قال: «لم يكن أحد من أصحاب النبي ﷺ ذو مقدرة إلا وقّف»[٢] قال ابن قدامة ﷺ: وهذا إجماع منهم، فإن الذي قدر منهم على الوقف وقّف، واشتهر ذلك ولم ينكره أحد، فكان إجماعًا[٣].

وكما جاء في الآثار أن منهم ﷺ من وقّف بستانه[٤]، ومنهم من وقّف داره[٥]، ومنهم من

---

(١) رواه البخاري (٦٤٤٢).

(٢) أخرجه أبو بكر الخصاف في «أحكام الأوقاف» وقال الشيخ عبد العزيز بن مرزوق الطّريفي في (التحجيل): إسناده واه.

(٣) ينظر: المغني لابن قدامة (٣٤٨).

(٤) كطلحة ﷺ، ينظر: البخاري (١٤٦١).

(٥) كعقبة بن عامر ﷺ، ينظر: أحكام الأوقاف للخصاف ص: ١٥.

مـن وقّـف أرضـه[١]، ومـنهم مـن حـبّس أدراعـه وسـلاحه[٢]، ومـنهم ومـنهم..، ﷺ وأرضاهم، وإن لنا بهم قدوة وأسوة حسنة.

وكان من أول من بادر إلى الوقف الخلفاء الراشدون الأربعة ﷺ وأرضاهم، فهذا أبو بكر الصديق ﷺ أوقف دورًا له بمكة على ذريته[٣]، وهذا عمر الفاروق ﷺ أوقف أرضًا له بخيبر لم يصب مالًا أنفس منها[٤]، وهذا عثمان ذو النورين ﷺ أوقف بئر رومة وكانت بئرًا شهيرة بالمدينة عذبة الماء[٥] وهذا علي ﷺ أوقف أرضه بينبع[٦] كما أوقف عيونًا له كثيرة ابتغاءً للثواب والأجر من الله ﷻ[٧].

هـم صـفوة الأقـوام فـاعرف قـدرهم ... وعلـى هـداهمُ يا موفـق فاهتـدِ

واحفـظ وصـية أحمـد في صـحبه ... واقطـع لأجلهـم لسـان المفسـدِ

فـالله زكـاهم وشـرّف قـدرهم ... وأحلهـم بالـدين أعلـى مقعـدِ

بـذلوا النفـوس وأرخصـوا أمـوالهم ... في نصـرة الإسـلام دون تـرددِ

مَـن غـيرُهم شـهد المشـاهد كلهـا ... بـل مـن يشـابههم بحُسـن تعبـدِ

ويـلٌ لمـن كـان الصـحابة خصَـمه ... والحـاكمُ الجبـارُ يـوم الموعـدِ[٨]

---

(١) كعمر ﷺ، ينظر: البخاري (٢٧٣٧)، مسلم (١٦٣٢).

(٢) كخالد ﷺ، ينظر: البخاري (١٤٦٨)، مسلم (٩٨٣).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٠٠).

(٤) أخرجه البخاري (٢٧٣٧)، ومسلم (١٦٣٢).

(٥) أخرجه البخاري (١٠٩/٣).

(٦) السنن الكبرى للبيهقي (١١٩٠٠).

(٧) ينظر: تاريخ المدينة لابن شبة (٢٢٢/١).

(٨) الأبيات للدكتور عائض القرني، وله ديوان مطبوع.

وهكذا تسابق أصحاب رسول الله ﷺ على الوقف في سبيل الله تأسيًا بقدوتهم ﷺ وامتثالًا لأمره، قال ﷻ: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

ويستقى مما سبق من هذه القصص والمواقف لأصحاب رسول الله ﷺ ما يلي:

* أن للمال في الإسلام دورًا عظيمًا، «فالمؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير»(١)، «واليد العليا خير من اليد السفلى»(٢) إلا أن ميزان حب المال والإقبال عليه أو الرغبة في تملكه موزون بميزان الشرع فلا يدفع المالُ صاحبه إلى التفريط في حق الله ﷻ أو في حق المسلمين، ولا يحمله المال على التبذير والإسراف والخيلاء، وهذا الميزان الدقيق اختصت به شريعة الإسلام، قال ﷻ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾ [الإسراء:٢٩]، وقال ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان:٦٧].
* أن العاقل من يستغل هذه النعمة -نعمة المال- فيما يقربه إلى الله ﷻ والدارِ الآخرة في تفريج الكرب وبناء المساجد ومساعدة المحتاجين وغيرها من سبل الخير.
* أن مال العبد الحقيقي هو ما قدّمه للآخرة، وأما ما يبقيه بعد موته فهو مال ورثته لهم غنمه وعليه غرمه فهم يتنعمون به وهو يحاسب عليه.
* أثر إنفاق المال على العبد المسلم عظيم فهو من أعظم أسباب كثرة الرزق والبركة فيه، لذا أخبرنا حبيبنا ﷺ عن الصدقة فقال: «ما نقصت صدقة من مال»(٣).

---

(١) رواه مسلم (٢٦٦٤) عن أبي هريرة ﷺ.

(٢) جزء من حديث حكيم بن حزام ﷺ، رواه مسلم (١٠٣٣)، والبخاري (١٤٢٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

* أن الواقف المنفق في سبيل الله يجد سعادة وأُنسا حيث يعوّضه الله بإنفاق المال وإخراجه من ملكه بانشراح صدره وراحة باله وطَمَأْنينةَ نفسه مع البركة في المال والصلاح في الولد، قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل:٩٧].